

## ماركس ضد سبنسر

## ماركس في وادي السيليكون: همسات حول نهاية الرأسمالية

وخفض الضرائب على الرأسمال جعلت هؤلاء الميروقراطيين، بالإضافة الى الشركات الكبرى العاملة في الوادي (حتى لا يتولد انطباع بأنه فقط مكان للرياديين الأبطال الأفراد)، يقفون على حصص أكبر وأكبر من عوائدهم. في النقطة الأخيرة، برهنت دراسة نشرت نتائجها أخيراً في مجلة الإيكونوميست أنه في الدول الاسكندنافية أغنى 1% يتهبون من 10% من ضرائبهم، بينما يتهب أغنى 0.01% من 30%. هذا في الدول الاسكندنافية، فكيف في أنحاء الدول الرأسمالية الأخرى؟

بالتأكيد، الرقم أعلى بكثير. كل هذا أدى الى انتشار فكرة انتصار الرأسمالية النهائي وبريقها حول العالم، وأصبح أبطال "وال ستريت" وأبطال "السيليكون فالي" الأمثولات الأعلى التي يحتذى بها من قبل الأجيال الجديدة والقديمة أيضاً. لكن سريعاً، حصل ما اعتقدت الاكثريّة أنه لن يحصل، وخصوصاً أن التسعينيات كانت أطول فترة انتعاش اقتصادية في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية امتدت عشر سنوات بالكامل. وبالتالي ترى أنه وُجِدَتْ فيها أخيراً الكأس المقدسة للنمو الأبدي. كانت الانتكاسة الأولى في انفجار فقاعة "دوت كوم" في 2001، ومن ثم أتى الانفجار الكبير في 2008 ليعلن نهاية مرحلة انتصار الرأسمالية، وطرح السؤال القديم مرة أخرى: هل للرأسمالية مستقبل؟

### "عندما تمطر تطوف"

اليوم، الأمور تتجه الى الجانب المظلم أكثر وأكثر، فالأمر بالنسبة إلى مستقبل الرأسمالية لم يتوقف عند الأزمان المالية والركود. إذ إن الرأسمالية التي كانت تترنح، ما إن بدأت تستعيد أنفاسها، أتت التطورات التكنولوجية من أتمتة واقتصاد المعلومات، الى الذكاء الاصطناعي ليطلق باب هذه الرأسمالية بشكل لم يسبق له مثيل.

مثالان اليوم من مئات الأمثلة حول هذه التطورات التي تتسارع: منذ أيام أطفال علماء فايسبوك روبوتات قامت باختراع لغة جديدة للتواصل في ما بينها! ما يعطينا لمحة عن الخطر الكامن الذي رأيناه قبل خمسين عاماً في فيلم "ملحمة الفضاء: 2001"، وما يحذر منه حالياً ستيفن هوكينغ حول قيام "فصيلة" جديدة تقضي على البشرية. أيضاً، في الأونة الأخيرة، أعلنت شركة ماكرونالدز تحت عنوان مبتذل (كعادة ماكرونالدز) "تجربة المستقبل" عن وضع كيوسكات إلكترونية في الخدمة تستبدل عمال صناديق النقد في 2500 متجر لها. هذا المثال يمتد في جميع القطاعات، وهذا الاستبدال التكنولوجي يدفعه تنافس الرأسماليين في السوق سعياً للربح، فيهربون الى الأتمتة ليتفوق الواحد منهم على الآخر. لكنّ تفوق رأسمالي واحد، أو عدة رأسماليين، سيدفع الرأسمالية ككل الى شفير الهاوية. فمن المتوقع في العشرين الى الثلاثين سنة المقبلة استبدال كم هائل من الوظائف من قبل الروبوتات الذكية، وتشمل أيضاً الأعمال العالية المهارة. ماذا سيحدث بعد ذلك؟ كيف ستكون عليها البطالة؟ من أين سيأتي الدخل الذي سيؤمن الطلب على العرض الهائل من السلع؟ من سيملك الروبوتات؟ وما تأثير هذا التغيير على عدم المساواة في الدخل والثروة؟ والأهم من ذلك ما ستكون عليه علاقة الإنسان بالعمل ويخلق الثروة والسيطرة عليها؟ هل سيكون الحل فقط بمشاريع "الدخل الأساسي العام"، التي يدعمها الكثيرون من التكنولوجيين مثل إيلون ماسك، والتي تعطي كل فرد في المجتمع دخلاً، بمعزل عما إذا كان يعمل أو لا؟

### التكنولوجيا تحضر قبر الرأسمالية

كل هذه الأسئلة يطرحها الكثيرون اليوم، ومن بينهم قد يكون أكثرهم من الذين يرون كل يوم مباشرة الأثر الحالي والكامن للتكنولوجيا وليد الرأسمالية المتمرد. يقول وينشتاين "لقد اختبرت شخصياً التغيير على المستوى الشخصي للعديد من المفكرين بين التكنولوجيين، حيث وصلوا الى اقتناع يحفزهم على التفكير ملياً بتبعات عملهم. فالكثير منهم يريدون أن يُذكروا كقاتلين للوظائف الذين دمروا كل المكتسبات التي تراكمت منذ الثورة الصناعية". في "الجزئيات حول الآلات"، بعيد هذه الثورة الصناعية، كتب كارل ماركس في عمله غير المكتمل Grundrisse أن التكنولوجيا والعلوم عندما تصبح أصل خلق الثروة "يصبح تطور الفرد الاجتماعي أصل الثروة والإنتاج". وهذا التطور هو أساس الاشتراكية القادمة، فهنا تنتهي الرأسمالية وتلتقي "حفار قبرها" التكنولوجيا কিيفما ذهبت، كما التقى ذلك الإنسان ملاك الموت في السوق وأرعبه، فهرب بعيداً الى سمرقند، لكنه لم يكن يعلم أن لديه هناك موعداً معه في اليوم التالي.

### غسان دبية

«استغربت لأنه كان لديه موعد معه في اليوم التالي هناك»

#### الموت في سمرقند

في مقابلة مع أريك وينشتاين، الرياضي والاقتصادي ومدير شركة تايل كابيتل (Thiel Capital)، قال: "يعتقد الناس أن الرأسمالية هي في صراع أيديولوجي مع الاشتراكية، لكننا لم نر أبداً أن الرأسمالية قد تهزم بواسطة وليدها نفسه. التكنولوجيا"، وأضاف: "بسبب تطور التكنولوجيا، ما نحتاج إليه هو نموذج مركب في المستقبل، وهو سيكون للمفارقة أكثر رأسمالية من رأسماليتنا اليوم وربما أكثر اشتراكية من شيوعية الأمس".

على الرغم من التناقض الظاهر في أفكاره، وحقيقة أن ماركس كان قد رأى تطور التكنولوجيا والقوى المنتجة كمسبب للانتقال من نظام اقتصادي الى آخر، إلا أن هذا التصريح لم يكن يتصوره أحد أن يأتي من أوساط أكثر المستفيدين مادياً من التحولات التي حصلت في الاقتصاد العالمي منذ انتهاء تجربة "شيوعية الأمس" في 1991. فهل وينشتاين "انغماسي ماركسي"؟ أم "عميل أحمر" أو على الأقل "مرافق في السفر"؟ أم أن هناك تطورات تكنولوجية حقيقية في الرأسمالية تجعل مديراً أميركياً لرأسمال استثماري يطرح إشكالية حول الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية تتعدى في طياتها ما يظنه الكثيرون أن الاشتراكية هي نموذج طوباوي للعدالة غير ممكن التحقيق؟

ربما من المهم وضع حاشية هنا حول العلاقة الوثيقة والحتمية بين الشيوعية والتقدم التكنولوجي؛ فلا شيوعية من دون تقدم هائل في التكنولوجيا. وللمذنب لا يعرفون، حتى بين الاشتراكيين اليوم، فإن الاتحاد السوفياتي سعى دوماً الى إقامة مجتمع تكنولوجي متقدم، وكان العلم بحد ذاته من أهم القيم المجتمعية. فمن أدب الخيال العلمي، الى العلوم نفسها في الرياضيات والفيزياء، الى إنجازات سبوتنيك وأول رجل وأول امرأة في الفضاء، وصولاً الى تمثيل التقدم العلمي في العمارة... كانت العلوم الهاجس والحلم الأكبر للسوفياتيين. وأخيراً، أكتشف فيلم صنع في 1960 حول كيف ستكون حياة صبي سوفياتي يدعى إيغور في 2017، في الذكرى المئوية للثورة البلشفية، ومن بينها تنبؤات بتكنولوجيات حديثة مثل Skype و Scanning والسيارات المسيرة ذاتياً.

### الاتجاهات الثلاثة

بالعودة الى السيليكون فالي، فبين ثمانينيات القرن الماضي وبداية القرن الواحد والعشرين التقت عدة اتجاهات في تطور الرأسمالية في هذه المساحة الجغرافية في الولايات المتحدة. سمي كذلك، لأن هذا الوادي ابتداءً كمركز للشركات والأفراد الذين يعملون على تطوير جيل التكنولوجيا المعتمد على الرقاقة الإلكترونية (مصنعة من مادة السيليكون)، الحجر الأساس للآلات الحاسبة. إلا أنه أصبح اليوم المركز الأساسي في الولايات المتحدة والعالم للتكنولوجيا العالية والريادة التكنولوجية. المنحى الأول كان تجذر النيوليبرالية في العالم الرأسمالي وانهاية التجربة الاشتراكية في شرق أوروبا وتزامنهما (بالصدفة) مع التسارع التكنولوجي في مجالات الكمبيوتر والمعلوماتية والإنترنت، ما أعطى الوادي شبه احتكار حقيقي ومعنوي لهذه التطورات وربطها بتطور الأسواق الحرة وانتصارها على عدوها اللدود: الاشتراكية. أما المنحى الثاني، فكان تزواج وادي السيليكون مع وال ستريت، تلك المساحة الجغرافية الثانية التي يعرفها حتى ضحيلي المعرفة بالولايات المتحدة؛ والمنحى الثالث، ظهور طبقة ميروقراطية (meritocracy - من جدارة) تعمل في المجالات التكنولوجية الجديدة، لم يرتبط دخلها العالي بالرأسمال القديم أو الاحتكاري أو الرأسمال الموروث، بل ارتبط بتراكم الثروة ومداخيلها العالية جداً نسبة إلى المعدل العام عبر جدارتها أو عملها، فأصبحت نرى الفروقات العالية بين المداخيل حتى تلك المتأتية من العمل، كما بين أيضاً توماس بيكيتي في "الرأسمال في القرن الواحد والعشرين".

### هل للرأسمالية مستقبل؟

كانت هذه الاتجاهات الثلاثة مترابطة أيضاً وتدعم بعضها البعض، فكانت الثروات المحققة "ميروقراطياً" تتضاعف عبر استثمارها في الأسواق المالية الحرة، وكانت الفقاعة "دوت كوم"، التي امتدت بين 1997 و2001 المحرك الأساسي لهذا التراكم الهائل للثروة في الوادي؛ كما أن النيوليبرالية بشقيها العولمي

وهو غير مسجل في الوزارة وصرفه وبيعه على أنه الدواء الثاني. 7- إخفاء معلومات عن 116 عبوة من دواء (Vincristine) أودعت على أنها إعارة فيما تبين أنها ناقصة وجرت تغطيتها بشراء بديل منها، ونحوير في فواتير لشركات دواء بهدف تغطية إعادة إدخال أدوية مشرقة فائضة بهدف الاحتفاظ بالدواء لإعادة بيعه

### اين القضاء؟

تحرك وزير الصحة غسان حاصباني، أمس، وأصدر قراراً يقضي بسحب إذن مزاولة المهنة من بعلبكي. ويشير المسؤول الإعلامي للوزارة جورج عاقوري إلى أن هناك سعياً جدياً من الوزير «لتفعيل عمل القضاء في الملفات الصحية، وسيكون أولوية في عمل الوزارة، إذ من غير المقبول مرور 8 سنوات لإصدار قرار غير نهائي في ملف مشابه، بانتظار استكمال التحقيقات». وكذلك فعلت نقابة الصيادلة انسجاماً مع المادة 92 من قانون النقابة، التي تنص على أن «حكم محوره جنحة يؤدي إلى شطب الصيدلي من الجدول ومنعه من ممارسة المهنة طوال حياته»، بحسب نقيب الصيادلة جورج صبلي.

إلا أن هذه الجريمة تكشف مدى ارتهاان القضاء للتدخلات في أعماله، والدليل مكوث الملف منذ أكثر من ثماني سنوات في النيابة العامة التمييزية من دون أن تحرك ساكناً، فيما باتت المتهممة بهذه العمليات خارج البلاد، وما زال المتورطون معها يمارسون أعمالهم ووظائفهم، وربما مستمرين بإيذاء المرضى.

تقول مصادر متابعه للملف إن المطلوب هو «تحرك النيابة العامة التمييزية والتفتيش المركزي لاستكمال التحقيقات والتوسع فيها والكشف عن المتورطين الآخرين فيها والاقتصاص منهم. إذ يترتب على القضاء إيقاف بعلبكي وملاحقتها جزائياً لتورطها بعملية بيع أدوية فاسدة و«القتل» بحسب ما ورد في قرار الهيئة، والتحقق من كمية الأدوية الفاسدة والمزورة التي وصلت من الهند وغير المسجلة في وزارة الصحة، ومعرفة كيفية دخولها والمتورطين بها في الجمارك ومن بين التجار والأطباء والمستشفيات، إضافة إلى إحالة الموظفين المتورطين معها والذين لم يحلهم التفتيش على الهيئة العليا للتأديب حتى اليوم رغم ذكر أسمائهم في التحقيقات».

### يمكن الإطلام على نص قرار الهيئة العليا للتأديب على موقع «الأخبار»

الأمراض السرطانية رج، وموظفون في وزارة الصحة». وقد استمرت هذه العملية لفترة غير معروفة، وتالياً لم يُعرف عدد المرضى المتضررين وماذا حل بهم، علماً أن قرار الهيئة يشير بوضوح إلى أنهم «خرموا فرصة الشفاء وسبب وفاتهم»، وهذا أخطر ما في القرار.

ينفي وزير الصحة الأسبق محمد جواد خليفة أن تكون للوزارة علاقة بهذا الملف الذي فتح خلال ولايته، مشككاً براوية بعلبكي، ويشرح أنه أحال الملف على التفتيش المركزي والنيابة العامة منذ سنوات، «بناءً على طلب المستشفى، فهي كانت ترسل المرضى لتسلم أدويتهم من الوزارة، ومن ثم تقوم بإدخالها إلى صيدلية المستشفى قبل التلاعب بها. وتالياً ما قامت به لا يستوجب تواطؤ أحد من الوزارة، لكونه يحصل داخل المستشفى، كذلك فإنه قد يكون حصل مع مرضى الجهات ضامنة أخرى كالضمان الاجتماعي وتعاونية موظفي الدولة».

### جرائم بعلبكي

يعدّد القرار جرائم بعلبكي بـ«1- بيع أدوية من صيدلية المستشفى إلى مرضى مقيمين وغير مقيمين في المستشفى، من خارج النظام المحاسبي المعمول به ودون إيصالات رسمية، أو من داخل النظام بموجب إيصالات تصدر مباشرة عن الصيدلية وتسدد لديها وتُلغى لاحقاً ويحتفظ بالأموال الناتجة منها. 2- استعمال الأدوية ببيع أدوية بديلة من الأدوية الأصلية، دون إجراء تقييم فني لها، ودون علم الأطباء المعالجين، ولا سيما أن أحدها (Vincristine) قد استبدل بـ(Cytocristin) غير المسجل في وزارة الصحة العامة وغير المقيم من لجنة الصيدلة والعلاج في المستشفى وغير المعترف به من الجهات الضامنة. 3- بيع واستخدام أدوية منتهية الصلاحية بعد إجراء تعديل على تاريخ انتهاء صلاحيتها في نظام إدارة المخزون. 4- تنظيم فواتير شراء أدوية وهمية لاستيفاء ثمن أدوية فائضة عن حاجة المرضى من الأدوية المستلمة من وزارة الصحة وقبض قيمة هذه الفواتير من صناديق المستشفى والاحتفاظ بها. 5- عدم إدخال الأدوية المجانية التي تمنحها الشركات الموردة للمستشفى أو الباقية من التشريك بين المرضى إلى المخزون، والاحتفاظ بها بهدف إعادة بيعها وقبض ثمنها لحسابها الشخصي. 6- شراء دواء (Cytocristin) الأرخص ثمناً بدلاً من (Vincristine)،

## دخل استثمار 225 ألف م

بصورة مؤقتة لبحث طرق علاج المشكلة الناشئة عن هذا الوضع القانوني، واستمر في التمديد لبحث طرق العلاج، علماً بأنه كلف لجنة لاقتراح الحلول، إلا أن الضغوط أدت إلى استقالة رئيسها واعتذاره عن عدم قبول المهمة الموكلة إليه، ليصدر لاحقاً تقرير عن اللجنة يشير إلى أن العلاقة بين النادي والوزارة هي علاقة التزام أشغال عامة تستوجب البحث في 3 خيارات:

1- استمرار إشغال النادي لقاء رسم والإستمرار في تنفيذ التزاماته تجاه الأراضي المشغولة منه. 2- الترخيص للنادي لقاء رسم رمزي إذا اعتبر الغرض من الإشغال هو للمنفعة العامة. 3- اعتباره مشروعاً سياحياً تطبق عليه القوانين المرعية في هذا المجال.

اللافت في هذا السياق أنه تبين لوزارة الأشغال أنه «ليس هناك أي مرسوم يرخّص لنادي الغولف بإشغال الأراضي المذكورة».

15 سنة، انتهت بتاريخ 1979/9/26. إلا أنه منذ ذلك الوقت، في ظل الحرب الأهلية وبعدها، عمد مجلس الوزراء الى تمديد العقد رضائياً مع إدارة النادي، وجرى آخر تمديد لمدة 7 سنوات تنتهي في 2017/9/26. وكانت الإدارة المعنية في الوزارة قد أعدت دراسة للملف، تشير إلى أن أساس العقد، أي التلزم لمدة 15 سنة وما تلاها من تمديد متكرر، هو مخالف للقوانين المرعية الإجراء، ولا سيما لأحكام القانونية المتعلقة بإشغال الأملاك العامة التابعة للمطار ولغايات استثمارية، ولأحكام المادة 60 من القرار التشريعي 275 ولأحكام المادة 30 من قانون موازنة 1990 ولقرار مجلس الوزراء رقم 21 بتاريخ 1990.

### خيارات لم تُدرس

طرحت الوزارة هذه الدراسة على مجلس الوزراء في عام 1999، إلا أن المجلس قرر يومها تمديد العقد